عروقها ماء . فانحلت أعصابها ، وانفرطت أجزاؤها انفراط عقد قُطع سلكه . أما ما ندعوه فوضى فبدلاً من أن يكون نذير الانحلال ، فهو في نظري بشير الحياة . إذ لا انفجار إلاّ حيث مواد متفجّرة. ولا عاصفة إلاّ حيث هواء . ولا سيل إلاّ حيث سحب وماء . ولا ثورة إلاّ حيث قلوب تنبض . وعقول تفكّر . وعضلات تتكمّش . وأرواح تئن أو تحن . أمّا حيث لا أثر لذلك فلا أثر للحياة ولا خوف من «الفوضى».

لئن تشعّبت اليوم مسالكنا الأدبيّة ، وتنوّعت أساليبنا البيانيّة ، وكثُرت هفواتنا اللغويّة ، فلنغبط أنفسنا قائلين : «نحمد الله فإن آدابنا لا تزال فيها قوى تبحث عن مسالك ، وتستنبط أساليب وقوالب . وما هفواتها إلاّ بشير لنا بأنّنا لم نبلغ بعد الكمال الذي بعده انحلال . بل نحن سائرون في سبيل الكمال الذي لا محجات فيه ولا مراحل . »

إن يكن اليوم في حالتنا الأدبيّة ما يدعو إلى التخوّف والتشاؤم فذلك ليس أن الحال «فوضى» بل إن هذه الفوضى ليست من المجال والمدى في أبعد ممّا ظهرت فيه حتى الآن . فهي لم تأتنا بعد بجبابرة . ولم تنهج مناهج واسعة . ولم تشد صروحاً عالية . فإذا وقفتْ قريباً عند هذا الحدّ خشينا أن يجد القنوط إلى قلوبنا منفذاً . إذ تخيب لنا آمال ما برحت تجول في الصدور بأن في عمق أعماق كياننا الأدبي قوى لا تزال